ملخص محاضرات الأسلوبية وتحليل الخطاب

1- الأسلوب والأسلوبية:

- **الأسلوب في التراث العربي:**

الأسلوب عند ابن منظور هو كل طريق ممتد أو السطر من النخيل، والأسلوب الطريق أو الوجه والمذهب.

ابن قتيبة ربط الأسلوب بطرق أداء المعنى في نسق مختلف، حيث يكون لكل مقام مقال. فتعدد الأساليب راجع إلى اختلاف الموقف أولا ثم طبيعة الموضوع ثانيا وإلى مقدرة المتكلم ثالثا.

عبد القاهر الجرجاني رأى أن الأسلوب هو الذي يرفع الكلام من خلال ربطه بالنظم.

ابن خلدون ذهب إلى أن الأسلوب هو المنوال الذي تنسج فيه التراكيب أو القالب الذي يفرغ فيه الكلام.

- **الأسلوب في التراث الغربي:**

تشير كلمة أسلوب في اللغة اللاتينية إلى مرقم الشمع وهي أداة الكتابة على ألواح الشمع، وقد اشتقت من الشكل اللاتيني (stylus) وهي ابرة الطبع والحفر. ثم انتقلت إلى معان أخرى بالمجاز تتعلق بطبيعة الكتابة اليدوية للمخطوطات.

قسّم ارسطو الأسلوب إلى أسلوب متصل وآخر دوري، ووضع لكل فن أدبي قواعده وميزات أسلوبه.

شبّه أفلاطون الأسلوب بالسمة الشخصية.

- **الأسلوب في الدرس الحديث:**

يرتكز الأسلوب من وجهة نظر ألسنية على ثلاث دعائم وهي: المخاطِب والمخاطَب والخطاب.

الأسلوب من زاوية المخاطِب:

يقوم تعريف الأسلوب بالنظر إلى المخاطِب على أساس التوحيد بين المرسل وأسلوبه حيث لا انفصال بينهما ولا انفصام. ةمن شأن هده النظرة أن تودي إلى الإيمان بالتلاحم التّام بين الأسلوب ومنشئه إلى الحد الذي يصبح فيه الأسلوب كاشفا عن مكنونات صاحبه ومعبرا عن دخائله.

الأسلوب من زاوية النص:

إن المنظرين لتحديد الأسلوب من زاوية النص يفرقون بين وضع اللغة الكائنة في طيات المعاجم ووضعها حين تخرج إلى مجال الاستخدام. فهم يفرقون بين مستويين الأول ساكن والآخر متحرك.

الأسلوب من زاوية المخاطَب:

إذا كانت عملية الإنشاء تقتضي وجود مرسل وهو أساسها وأثرا أدبيا يظهر ما في نفس صاحبه من أفكار، فإنه لابد من وجود متلق يستقبل النص الأدبي. فللمخاطَب دور مهم ومؤثر إلى الحدّ الذي جعل البعض يذهب إلى أن القراءة الفاحصة التي يقوم بها المتلقي تسبق عملية التحليل الأسلوبي.

مفهوم الأسلوبية:

تعددت تعاريف الأسلوبية نذكر منها:

الأسلوبية أو علم الأسلوب علم لغوي حديث يبحث في الوسائل اللغوية التي تكسب الخطاب العادي أو الأدبي خصائصه التعبيرية والشعرية، فتميزه عن غيره.

الأسلوبية هي الدراسة العلمية للأسلوب تهدف إلى الكشف عن خصائصه الجمالية وبنياته الفنية، تعتمد على جملة من الأدوات الإجرائية لرصد الظواهر الأسلوبية التي تؤدي إلى مقصدية ذات حمولة جمالية.

الأسلوبية عند عبد السلام المسدي هي البحث عن الأسس الموضوعية لإرساء علم الأسلوب.

2- الأسلوبية التعبيرية (الوصفية):

يكاد يتفق الدارسون على أن شارل بالي هو المؤسس الأول للأسلوبية وأول من أرسى مصطلحها ورسّخه بحثا وتنظيرا حتى عُدّ أبا لها.

نحا بالي بالأسلوبية منحى وصفيا متأثرا بأستاذه سوسير فالأسلوبية عنده هي العلم الذي يُعنى بدراسة طاقة اللغة في التعبير عن الانفعالات والمشاعر أو القيمة الشعورية الانفعالية المكونة للنظام التعبيري للغة معينة في فنرة ما.

وضع شارل بالي في أسلوبيته التعبيرية الطابع الوجداني محددا في عملية التواصل بين المرسل والمتلقي ضمن الإطار اللغوي للرسالة. فالأسلوبية عنده هي البحث عن القيمة التأثيرية لعناصر اللغة المنظمة والفاعلية المتبادلة بين العناصر التعبيرية التي تتلاقى لتشكل نظام الوسائل اللغوية المعبرة.

ارتبطت الأسلوبية بثنائية اللغة والكلام عند دي سوسير من حيث البحث عن الخصائص النوعية التي تميز نصا أدبيا متحققا عن غيره من النصوص. لذا فهي تعنى بما هو منفذ ومنجز.

الطابع الوجداني للغة حسب "بالي" هو العلامة الفارقة في عملية التواصل بين الباث والمتلقي. فالعاطفة سلطان يسيطر على العملية اللغوية بغض النظر عن العقل، والإنسان في جوهره كائن عاطفي قبل كل شيء واللغة هي الكاشف عن هذا الكائن.

كانت أسلوبية "بالي" لسانية بحتة ابتعدت عن الأدب مجالا للدراسة بمعايير النقد واهتمت باللغة العامية والشائعة حيث ركزت على اللغة مستندة إلى الجانب التأثيري ليس من حيث هو استعمال أو أداء فردي وإنما من حيث هو ظاهرة قائمة في اللغة في حدّ ذاتها.

3- الأسلوبية البنيوية:

انطلقت الأسلوبية البنيوية من مفاهيم هي:

البنية: ومن خصائصها الشمولية وهي التماسك الداخلي للوحدة، والتحول وهو عملية توليد تنبع من داخل النسيج كالجملة التي يمكن أن يتولد منها عدد من الجمل. والتحكم الذاتي .

اللغة والكلام: اللغة هي نتاج الجماعة ومخزونها الذهني، أما الكلام فهو نتاج فردي حرّ وإرادي يختاره المتحدث من ذلك المخزون ليعبر به عن فكره ورسالته.

الوظائف اللغوية الست: وصف جاكبسون عملية الكلام في ظل النظرية التواصلية التي تجسد المراحل التي تمر بها الرسالة من المرسل إلى المتلقي. فالمرسل وظيفته انفعالية وتعبيرية، والمرسل إليه وظيفته افهامية، والرسالة وظيفتها شعرية، والسياق وظيفته مرجعية وإدراكية، القناة وظيفتها انتباهية، والشفرة وظيفتها ماوراء لغوية.

وقد ركزت الأسلوبية البنيوية على الوظيفة الشعرية التي تضطلع بها الرسالة.

الوحدات الصوتية المميزة: وهي موضع اهتمام اللسانيات الوظيفية التي ترى أن لكل لغة من لغات العالم عدد محدود من الوحدات الصوتية الأساسية والتي تستخدمها تلك اللغة للتفرقة في المعنى بين الكلمات.

القيمة الخلافية: وهو مفهوم ينطلق من أن الدوال لا تعرف من خصائصها وإنما يتم ذلك من خلال اختلافها وتمايز بعضها عن بعض.

الآنية والزمكانية: المنهج الآني هو دراسة اللغة أو إحدى ظواهرها في حيز زمني محدّد. أما الزمانية فهي دراسة لظاهرة لغوية عبر تطورها التاريخي.

وقد مرت الأسلوبية البنيوية بمرحلتين بارزتين هما: الأسلوبية الوظيفية بزعامة جاكبسون، وأسلوبية التلقي بزعامة ميشال ريفاتير.

4- الأسلوبية الإحصائية:

انظلق أصحاب هذا الاتجاه من اعتبارين: الأول أن الأسلوب مفارقة أو انحرافا عن نموذج آخر يعتبر معيارا. والثاني باعتباره اختيارا أو انتقاء لسمات لغوية يقوم به منشئ الخطاب.

يدعو أصحاب هذا الاتجاه إلى الاحصاء الرياضي في محاولة الكشف عن خصائص الأسلوب الأدبي في عمل أدبي معين، باعتماده وسيلة علمية وموضوعية تجنب الباحث الوقوع في الذاتية.

يعد "زمب" من أبرز رواد هذا الاتجاه فهو الذي جاء بمصطلح (القياس الأسلوبي) القائم على عدّ كلمات النص وتصنيفها ووضعها على شكل نجمة تمثل متوسطها. وهكذا تنتج أشكالا ونماذجا متنوعة يمكن مقارنتها فيما بينها. وتمثل أضلاع النجمة المثمنة أنواع الكلمات التي تحصى طبقا لطبيعة اللغة المدروسة وهي (الأسماء، الضمائر، الصفات، الأفعال، ظروف المكان والزمان، حروف الجرّ، أدوات الربط، أدوات الشرط).

يمكن إجمال خطوات الإجراء الاحصائي للأسلوب ووسائله كالآتي:

1- الخطوات: وتندرج ضمنه التشخيص الأسلوبي وتحديد المتغير الأسلوبي.

2- الوسائل الإجرائية: يدخل ضمنها قياس كثافة المتغير الأسلوبي، قياس البنية بين متغيرين أسلوبيين، قياس النزعة المركزية للمتغيرات، وقياس تشتت بيانات المتغيرات، وقياس التوزيع الاحتمالي للمتغيرات.

5- الأسلوبية النفسية:

اهتم رائد الاتجاه النفسي في البحث الأسلوبي الألماني "ليوسبيتزر" بالذات المبدعة وخصوصية أسلوبها انطلاقا من تفردها في الكتابة.

يرى أصحاب هذا الاتجاه الأثر الأدبي وسيلة للولوج إلى نفسية مبدعه من خلال المعجم الإفرادي والمعجم التركيبي للغة الحاملة للخطاب القابع في النص الأدبي.

تذهب الأسلوبية النفسية من خلال طرحها في مقاربة النص إلى أن الأسلوبية قادرة على إدراك كل ما يتضمنه فعل الكلام من أساليب أصلية تتوفر على عناصر الفرادة التي أوجدتها طاقة خلاقة منبثقة من نفس مبدعة.

يعتني هذا الاتجاه بدراسة الوسائل الأسلوبية في النصوص الأدبية باعتبارها صورا عقلية تعبر عن شخصية الفرد المبدع وواقعه في مرحلة كتابتها، وتبحث في الذوق اللغوي والكفاءة الفنية للمبدع، وأثرهما في الجوانب الجمالية للأسلوب.

تمر الدراسة الأسلوبية وفق ثلاث مراحل:

1- المرحلة الأولى: وتسمّى مرحلة السطح بحيث يقوم الناقد بقراءة النص مرة تلو الأخرى ليصل أن هناك عنصرا لغويا يتكرر باستمرار.
2- المرحلة الثانية: يقوم الناقد في هذه المرحلة بايجاد تفسير نفسي عن سبب تكرار تلك السمات التي أوجدها في المرحلة الأولى.

3- المرحلة الثالثة: العودة إلى السطح ويقصد بها الرجوع إلى النص للبحث عن معضدات أخرى تثبت ما ذهب إليه الناقد في تفسيره.

6- الأسلوبية التوزيعية (محددات الأسلوبية الاختيار والتركيب):

يقع مبدأ الاختيار على المحور الرأسي للتعبير اللغوي حيث يقوم المتكلم باختيار مفردات لغوية بعينها من بين مجموعة كبيرة من المفردات تقوم بينها علاقة تشابه أو اختلاف على أكثر من مستوى. ويقع مبدأ التركيب على المحور الأفقي الذي يقوم فيه المتكلم بترتيب المفردات المنتقاة وفق قواعد النظام اللغوي التي تخضع لها لغة المتكلم وحدود التصرف الذي تسمح به تلك القواعد.

ينتج عن محور الاختيار عموديا علاقات لها طواعية الاستبدال فيما بينها تسمّى العلاقات الاستبدالية.

لا يمكن للاختيار أن يحقق بمفرده أسلوب الخطاب إلا عبر تقاطعه مع التركيب والذي بدوره يخضع لأنظمة اللغة وقوانينها الصارمة، فضلا عن احتكامه لحاجات السياق.

يخضع أسلوب تأليف الوحدات اللغوية وتركيبها لقوانين صوتية وصرفية ونحوية وأخرى دلالية والتركيز على إحداها يؤثر بالضرورة في نسيج الخطاب تأثيرا مباشرا، تتغير بموجبه رتبة الوحدات اللغوية أفقيا في انسجام يغذّي أسلوبه التأثيري ونسيجه الإبداعي.

7- الظواهر الأسلوبية (الانزياح والمفارقة):

إن الخطاب الأدبي يحتم على الأديب أو الشاعر أن يفاجئ متلقيه من حين إلى آخر بعبارة تثير انتباهه حتى لا تفتر حماسته بمتابعة القراءة.

الانزياح ينتج عبر التقاطع الحاصل بين محوري الاختيار والتركيب تقاطعا عاديا أو متواترا. وتنشأ شعرية الخطاب من خلال الفجوة بين البنيتين العميقة والسطحية.

يمثل الانزياح لدى علماء الأسلوب اللون التمييزي للغة الشعرية كونه يخرق قواعد اللغة المعيارية ويتجاوز المألوف منها إلى ما هو بديل عنها.

المفارقة:

جاء في تعريفها أنها استراتيجية قول نقدي ساخر وهي في الواقع تعبير عن موقف عدواني ولكنه تعبير غير مباشر يقوم على التورية.

تكمن جمالية المفارقة في أنها تورط المتلقي في اكتشاف قول شيء وتقصد غيره.

تتمثل عناصرها في المرسل والمرسل إليه والرسالة.

أما أنواعها فهي عديدة نذكر منها: المفارقة اللفظية، المفارقة البنائية، المفارقة السياقية.

8- النص والخطاب:

النّص:

انتاج لغوي أي تشكل أو تركيب لغوي.

مدونة حدث كلامي ذو وظائف متعددة.

مجموعة الملفوظات اللسانية التي تخضع للتحليل ويكون النص من هنا عينة لسانية قد تكون مكتوبة أو منطوقة.

الخطاب:

انجاز فردي يتشكل من مجموعة من الوحدات الخطابية تربطها ببعضها علاقات تحقق للخطاب انسجامه.

هو وحدة تواصلية ابلاغية ناتجة عن مخاطَب معين وموجهة إلى مخاطِب معين في مقام وسياق معينين. فهو ممارسة استعمالية واقعية ملموسة للغة.

بين النص والخطاب:

كل خطاب هو نص بالنظر إلى بعض مكوناته وهي الآليات الداخلية التي تشكل قوامه، وليس كل نص خطابا.

يفترض الخطاب وجود السّامع الذي يتلقى الخطاب، بينما يتوجه النص إلى متلق غائب.

الخطاب تنتجه اللغة الشفوية بينما النص تنتجه الكتابة.

كل ملفوظ يندرج تحت نظام اللغة وقوانينها فهو نص، وإذا ما خرج ليندرج تحت السياقات الاجتماعية يسمّى خطابا.